المدارس الفكرية اليهودية
ودورها في تأليف العهد القديم

بقلم: الأستاذ / العربي بن الشيخ*

يعد الكتاب المقدس أهم، وأقدم مصدر تاريخي يعتمد عليه اليهود في تحديد أصولهم العرقية والحضارية، والدينية؛ لكن هذا المصدر عند غيرهم وثيقة تاريخية قابلة للتصويب، وإظهار ما فيها من مغالطات، ودس بواسطة النقد العلمي، ومقارنة نصوصها بالكشوف الأثرية. وهذه الدراسة جعلت الكتاب المقدس موضع الجدل، والمقارنات في تحقيق الوقائع

قسّمت التوراة تاريخ اليهود إلى ثلاث مراحل أساسية: أولها نشوء الجماعة العبرية الأولى في مدينة أور (UR) بالعراق. وهجرتهم بقيادة إبراهيم عليه السلام: أب اليهود من أرض الرافدين إلى أرض كنعان، ووعد الرب لإبراهيم بأن يورثه أرض كنعان (1)، كما جاء في سفر التكوين (7/1) "وقال أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها". والمرحلة الثانية تبدأ من هجرة يعقوب، وبنيه إلى أرض مصر وإقامتهم فيها تحت الحكم الفرعوني المستبد الذي استعبد بني إسرائيل واضطهدهم، ثم تأتي المرحلة الثالثة التي تبدأ بالخروج من مصر، والاتجاه إلى أرض فلسطين، يعدها اليهود مرحلة النضج التي تم فيها بناء الديانة والقومية اليهودية، وفيها جدد موسى عليه السلام مع الإله يهوه عهد وميثاق بني إبراهيم، وأعلن الشريعة الربانية (2).

* أستاذ الفقه والعقيدة بالمعهد الوطني للعلوم الإسلامية بباتنة.

المرحلة الأولى : يرجع اليهود قوميتهم إلى القبائل السامية التي هاجرت من جنوب جزيرة العرب إلى منطقة أور (UR) في أرض العراق عاصمة وادي الرافدين .

وخلال القرن (18 ق.م) ظهر إبراهيم عليه السلام فقام بالدعوة إلى دينه في تلك البقاع، فلقي صدودا من قومه عن التوحيد، وتمسكوا بعبادة الأصنام، ولم يهتموا بأمره، لكن عندما استجاب له بعض المؤمنين تجرد سدنة الأصنام لمحاربته، واضطهاد أتباعه؛ ولما بلغ عناد قومه إلى قدر لا يحتمل، غادر أور مع جماعة من أتباعه وعبروا نهر الفرات، واتخذوا من منطقة بلاطة في أرض كنعان وطنا لهم بدلا من أور بحران (3).

وأثناء عبور سيدنا إبراهيم من أور إلى بلاطة يرجح أنها تواقتت مع تحركات قبائل الهكسوس في شرق البحر الأبيض المتوسط خلال القرن(18 ق.م) حيث سيطروا على مصر، وأطاحوا بالحكم الفرعوني(4). لقد أطلق اسم العبرانيين على المجموعة التي هاجرت مع سيدنا إبراهيم عليه السلام لكنه ما لبث أن اتجه إلى مصر داعيا إلى دينه، ويقول(STAT NIHIL): "أن سبب هجرة إبراهيم إلى مصر حدوثُ جدب في أرض كنعان، ولم يقم إبراهيم بمصر طويلا، حتى عاد إلى أرض كنعان، فولد له ابنه إسحاق سنة (1700ق.م)"(5)، يعد اليهود إبراهيم عليه السلام أول رجل يهودي أسس الشعب اليهودي، ويطلقون على هجرته بالهجرة الأولى .

المرحلة الثانية :بعد عودة سيدنا إبراهيم عليه السلام من مصر، واستقراره في أرض كنعان، ولد له ابنه إسماعيل، ثم إسحاق، ثم أخذ سيدنا إبراهيم ابنه إسماعيل و أمه هاجر إلى مكة، وعاد ليقيم مع إسحاق في فلسطين.ولما شبّ إسحاق تزوج وأنجب يعقوب (عليهما السلام) الذي لقِب بإسرائيل، فكان لقبا لنسله من بعده، وأنجب يعقوب 12 ولدا، كانوا بدوا رحلا (6)، ثم حدثت قصة يوسف عليه السلام فكانت سببا في هجرة بني يعقوب إلى مصر واستقرارهم بها تحت رعاية يوسف، وعرفوا هناك بالعبرانيين ثم بعد فترة تكاثر عددهم، ولم يمتزجوا بالشعب المصري، بل حافظوا على عرقيتهم من الذوبان طوال مدة وجودهم في مصر (7). خلال (1580 ق.م) قام

الفراعنة بثورة على الهكسوس واستطاعوا طردهم، فوقع بنوا إسرائيل غنيمة في أيدي الفراعنة، فاستعبدوهم، واستخدموهم في الأعمال الشاقة، واستمر رقهم واضطهادهم حتى مبعث موسى عليه السلام (8) فكانت هذه المرحلة أقسى المراحل في تاريخ بني إسرائيل وأدت هذه الظروف إلى تطور الفكر، والحياة الاجتماعية مما أكسب هذه الجماعة عادات، وأعرافا، ومصطلحات لغوية، ودينية ساهمت في بناء الشخصية اليهودية المعاصرة للأحداث، واللاحقة لها، أما اليهود فقد استغلوا معاناتهم خلال هذه المرحلة في إثبات براءتهم مما نسب إليهم من فساد وظلم، كما ادعوا أن الحضارة قامت على أكتافهم، وشيدت الآثار العمرانية على أيديهم، وعلى ظهورهم.وينفون الطابع المصري الذي وسمت به الشخصية اليهودية في كثير من جوانبها؛ لكن هذه الآثار تظهر جلية أثناء مرحلة الخروج؛ حيث عانى سيدنا موسى عليه السلام من انحرافاتهم العقدية، والخلقية فعاش في صراع طيلة حياته مع أفكارهم، وعقائدهم التي تشربتها أذهانهم من الوسط الوثني الذي عاشوا فيه وذلك باعترافهم في كتابهم "سفر الخروج 32/7-8 "فقال الرب لموسى" اذهب انزل. لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر و زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلا مسبوكا، وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر" وتعسر على موسى عليه السلام تقويم بني إسرائيل.

المرحلة الثالثة : بعدما عاش بنوا إسرائيل حياة عبودية، وأشغال شاقة تحت استبداد الفراعنة قرر أحدهم قتل الذكور من أولاد العبرانيين، وهذا أعظم بلاء يصب عليهم، إذ يتعرضون لعملية استئصال وإبادة، ولم يجدوا من هذه الورطة مخرجا، فتنهار أنفسهم ويستسلمون للحكم الفرعوني، وفي أثناء هذه الفترة الحرجة يولد موسى عليه السلام [الإصحاح 1، 2 سفر الخروج] فتحدث قصة سيدنا موسى عليه السلام ويبعثه الله رسولا ويحرر بني إسرائيل من قبضة الفراعنة وينطلق بهم اتجاه أرض المعاد (فلسطين) (1447 ق.م)(9). وأثناء سير بني إسرائيل في صحراء سيناء أنزلت التوراة على

موسى، ولاقى عليه السلام منهم مضايقات تفوق مواجهة فرعون له، إذ طالبوه بالأدلة والبراهين على كل أمر، وأعلنوا كفرهم مراراً. فعبدوا العجل عند غيابه في الميقات، وطلبوا منه أن يريهم الله جهرة. وهذه التصورات كلها من رواسب المعتقدات التي اكتسبوها من معايشتهم للمصريين ولم يستطيعوا التخلص منها.

ويصطدم موسى عليه السلام بأحرج المواقف عندما يصل إلى مشارف فلسطين، ويطلب منهم الدخول إلى أرض الموعد فتقاعسوا، وظهر خورهم، وأصروا على عدم القتال، أو بذل أي جهد لإقامة حكم الله المنزل على نبيهم، وعندها تبرأ موسى عليه السلام منهم، قال تعالى في ذلك :﴿ **قال ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين** ﴾ (28 المائدة) "وهذا الموقف من مواقف موسى مع بني إسرائيل لم يذكر في سفر الخروج، وكل ما ذكر إنما هو مواقف عنيفة بين موسى وقومه ووصفهم بصلابة الأعناق، والتمرد"(10) وعاقبهم الله بالتيه لمدة يتم فيها التخلص من ذلك الجيل المشبع بالمعتقدات الوثنية. وبعد مضي هذه المدة نشأ جيل جديد استطاع يوشع قيادته وفتح به فلسطين .

أما اليهود فيعتزون بهذه المرحلة، ويرون أنها المرحلة الحاسمة التي أعيد فيها بناء الشخصية اليهودية، وتم فيها إرساء قواعد الدين القومي لبني إسرائيل على يد موسى، كما أنزلت عليه الأسفار الخمسة وهو كاتبها "الخروج 5/24" "فكتب موسى جميع أقوال الرب"؛ بل يعتقدون أن الله هو الذي كتب بعضها أو جلها في الألواح "الخروج 7/32" :"واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين". الملاحظ أن سياق الخطاب جاء خبريا يخبر أن هناك أقوالا كتبها موسى عن ربه، ورواية الخبر ليست داخلة في الخبر فهي من كلام الراوي الذي كتب هذا بزمن متأخر عن زمن موسى.

بعد اندثار الجيل الذي فتح فلسطين اندرست معه التعاليم الحقيقية للوحي، ولم يبق منها إلا شذرات من الأحكام كلل الوضاعون بها أعمالهم لتأخذ

صبغة الشرعية، والصلة بالوحي، ولم يكن لما أنزل في التوراة أثر في بناء الشخصية اليهودية، وذلك باعترافهم بما حدث منهم من انحرافات عقدية، وخلقية، أثناء نزول الوحي، وبعده كقتلهم للأنبياء بعد موسى. فأدى ذلك إلى الانقسام والتناحر بينهم، وخلال سنة (1000 ق.م) استطاع داوود عليه السلام أن يوحد بني إسرائيل من جديد ويفتح منطقة القدس، ثم خلفه ابنه سليمان عليه السلام الذي يعد عهده العصر الذهبي لبني إسرائيل(11)،قال تعالى:﴿ **ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داوود** ﴾ (16.النمل) لكن ما لبث أن دبّ الخلاف بين بني إسرائيل بعد وفاة سليمان، فانقسمت دولتهم إلى دولة إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة ويهوذا في الجنوب عاصمتها أورشليم، وكان التنافس بين المملكتين على أشده، وما إن حلت سنة (722 ق.م) حتى غزى الآشوريون مملكة إسرائيل وقضوا عليها. ثم تم القضاء على مملكة يهوذا من قبل البابليين سنة (586 ق.م) ونفى خيرة أبنائها إلى بابل(12) .

بعد النفي البابلي تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ بني إسرائيل، فمنذ ذلك الحين أطلق اسم اليهود عليهم نسبة إلى دولتهم التي تنسب إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب، لأن مواطنيها كانوا من نسله ونسل بنيامين(13) .

وفي المنفى تكون الشعور القومي، والديني المميز للشعب اليهودي، وفي تلك الفترة التي عاشها بنو إسرائيل في بابل ظهرت فيهم شخصيات تبنت الاتجاه الفكري الجديد لليهود، وأرست قواعده الأولى، ومنهجه، فكان من أهم الشخصيات المنظرة للفكر اليهودي:"حزقيال" و "دانيال"، والذين جاءوا بعدهما وضعوا القواعد الأساسية في صياغة الكتاب المقدس، ونسجوا على منوال حزقيال ما تبقى من أسفار الكتاب المقدس المتلاحقة، فنجد«عزرا» و«نحميا» على رأس المقعدين في هذا الباب .

ظهر حزقيال في الفترة ما بين (592-570 ق.م) في بابل في الكفل على ضفاف نهر الخابور، وما زال ضريحه هناك يحج إليه اليهود إلى يومنا. وهو أحد رواد الفكر اليهودي في المنفى(14).

ويعده اليهود نبيا من أنبيائهم، وله سفر باسمه في الكتاب المقدس يرى بعض العلماء أنه أول سفر كتب في الكتاب المقدس، وأضيفت من حوله بقية الأسفار "وإن هذا السفر يعري التوراة تعرية تامة، ولعل هذا هو سبب تجاهل ، بل رفض"حزقيال" من قبل العلماء، والباحثين... فإن جميع الأسفار التوراتية الأخرى ليست سوى "مدراش" [شروح] يدور حوله ويتوسع فيه"(15)، فهذا يثبت أن ما ألف في ديانة وتاريخ بني إسرائيل كتب بعد الغزو البابلي، والأحداث السابقة لهذا العصر ما هي إلا أساطير تناقلتها الأجيال في صورة قصص، وتخيلات أفرزتها العقلية اليهودية الجديدة، أما دانيال الشخصية الثانية بعد حزقيال، فعاصر (نبوخذ نصر) محطم دولة يهوذا، وفاتح أورشليم وله سفر باسمه في الكتاب المقدس، كتبه ليعيد الأمل إلى نفوس اليهود المنهزمة ويحفزهم على الاجتهاد في السعي للعودة إلى أرض الموعد .

خلال (546-539 ق.م) غزى قورش الأخميني الفارسي بلاد بابل، ودخل العاصمة دون مقاومة سنة (539 ق.م) أثناء احتفال أهلها بمناسبة دينية، ولم يسلب، أو ينهب، بل أسر الحكام، وأفشى السلام، وأطلق الحريات للأديان، ولم يحمل أحدا على اعتقاده (16). فاستغل اليهود الفرصة، وتقربوا إلى قورش، وقدموا له أخت زربابيل(17) زوجة، فاستطاعت أن تتمكن من قورش وطلبت منه أن يعيد بني إسرائيل إلى أورشليم بعدما فتحها، فلبى رغبتها وخيرهم بين العودة إلى أورشليم والإقامة. فعادت طائفة، ومكثت طائفة أخرى في بابل. وفي هذه الفترة ظهر عزرا ونحميا، اللذين كانا موظفين في بلاط الملك، وهاجرا إلى أورشليم - حيث قام عزرا بجمع لجنة من علماء اليهود؛ ليكتب لليهود كتابا يحفظ شريعتهم وتاريخهم" وكانوا موجهين بالقانون الأول الذي وضعه حزقيال في المنفى، فقلد مؤلفو الكتاب المقدس الأشعار البابلية- التي تعد أساس ثقافتهم- في صياغة الكتاب، ومثال على ذلك أسطورة الخلق"(18)؛ وهكذا يقر معظم العلماء الباحثين في الكتاب المقدس وتاريخ بني إسرائيل أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام لم تؤلف إلا في القرن الخامس قبل الميلاد. على غرار ما كتبه حزقيال(19).

الذي ألف كتابه على نسق أساطير بابل، في سرده لصفات الله، وروايته للحوادث التاريخية السابقة لعصره وأدى تباين عصور المؤلفين، واختلاف بيئاتهم إلى تباين المصطلحات المستعملة والأساليب الروائية، واختلاف اللهجات؛ بحيث نجد بعض النصوص باللغة الآرامية القديمة تتخلل نصوص الكتاب العبري(20). مما جعل النصوص تتضارب. وتحتوي على متناقضات لا يقبلها العقل. كما يمكن أن يستدل من تاريخ بني إسرائيل على أن كتابهم لم يؤلف في عهد أسبق من القرن الخامس قبل الميلاد لوجود داوود وسليمان عليهما السلام قبل ذلك وكانا رسلين وملكين مسيطرين على الأوضاع، وهذا يجعل من المحال وجود مثل هذا الكتاب أو من يدعوا بما يحويه من معتقدات مثل تصوير ذات الله في صورة البشر وإضفاء صفات التجسيد عليها من أكل وشرب ونوم .... فلا يُمكن لداوود وسليمان أن يرضيا لأحد يحمل هذا الفكر يعيش في دولتهما، تحت حكمهما، وبالتالي فإن مؤلفي الكتاب تأثروا بأفكار وأساطير الشعوب الوثنية المحيطة ببني إسرائيل. وهذه الأساليب التي استعملها بنوا إسرائيل في صياغة تعاليم دينهم الجديد لم تنج منها حتى قضية التوحيد من التشبيه والتجسيم لذات الله(21). فكان أثر الحضارات القديمة جليا في الحياة الاجتماعية، والفن فأدت بمضامين التظاهرات الدينية إلى أن صارت من تعاليم الدين اليهودي كاتخاذ تمثال الأسد الرجل، وصور الملائكة المجنحة على مشارف الهياكل والمعابد(22) .

وخلاصة القول أن دين اليهود عبارة عن جملة أفكار ومعتقدات من ديانة بابل ومصر القديمة والشعوب المجاورة لهم مشوبة بشذرات من الوحي الذي أنزل على موسى وبعض الأنبياء اللاحقين بعده (عليهم السلام).

المدارس الفكرية في التوراة: لقد ذهب معظم الباحثين في التوراة إلى أن الكتاب المقدس ألف خلال فترات زمنية متباعدة، وذلك لاختلاف اللهجات المستعملة في النصوص وهذا أتاح الفرصة لتدخل ومشاركة عدة مدارس مختلفة عقائديا في تأليف وتجميع نصوص هذا الكتاب على توافق بينهم، وهذا التوافق يجعل جميع الاتجاهات تلتقي في الكتاب المقدس، وتتوحد جهودها في خدمة القضية اليهودية، وتقبل

اليهود هذا المزيج دينا لهم بوجهين ظاهري يمثله الكتاب(التوراة) ووجه باطني يمثله نشاط الجمعيات السرية المنسوبة للتلمود.

1) المدرسة اليهوية: تنسب هذه المدرسة إلى يهوه إله بني إسرائيل(23)، وهذا اللفظ غامض الدلالة إلا أنه يدل على اسم الله عند بني إسرائيل، ويحتمل أنه مشتق من كلمة ياهو أحد آلهة الكنعانيين(24). ويرجع بعض المؤرخين ظهور هذه المدرسة اتجاها فكريا جديدا إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد (25).و تمتاز هذه المدرسة بالصراحة في الأسلوب، فهي تشبه المذهب الواقعي في وصفها للأساطير؛ إذ تحكي قصصا تصور فيها عمليات الزنا وتنسبها إلى الأنبياء بوقاحة دون اللجوء إلى مواراة أو رمز (أنظر سفر التكوين 20/19-27). المحور الذي يدور حوله فكر المدرسة هو تثبيت فكرة شعب الله المختار في العقلية اليهودية. كما يعزى إلى المدرسة كتابة جزء كبير من سفر التكوين بدءا من قصة الخلق الثانية إلى غاية هجرة بني إسرائيل إلى مصر .

2) المدرسة الايلوهيمية: تنسب هذه المدرسة إلى كلمة إيلوهيم (الآلهة) جمع كلمة إل التي تعني إله، فهي تدل على التعدد، ويرجع تاريخ نشوء هذا الاعتقاد في الشعب اليهودي إلى الفترة (750 ق.م)(26) قبيل زوال مملكة إسرائيل" ولغة هذه المدرسة أكثر تنسيقا وتهذيبا من لغة المدرسة اليهوية، وهي أكثر عمقا، وتعتمد على التشابيه والتورية لتوجيه رسالتها، ويعود للمدرستين اليهوية والايلوهيمية تحرير معظم سفري التكوين والخروج"(27) كما تظهر آثار هاتين المدرستين في الإصحاحات الثلاثة الأولى من سفر حزقيال، حيث يصور حزقيال ذات الله في صورة بشر نحاسي يركب مركبة تجرها حيوانات تشبه العجول. و جرى بينه وبين هذا الإله حوار مباشر تلقى فيه الأوامر التي وجهها إلى شعبه، وسخطه على شعبه المختار حين عبدوا غيره من آلهة الشعوب المحيطة بهم مثل الإله تموز، والشمس. ويظهر أسلوب المدرستين في الإصحاح 23 من سفر حزقيال في قصة الزانيتين الإسرائيليتين اللتين يرمز بهما إلى عاصمة إسرائيل (السامرة) وعاصمة يهوذا (أورشليم) مبينا أسباب سقوط المدينتين في يد الآشوريين والبابليين بتشبهها

بعملية الزنا الفاحش الذي كان جزاؤه القتل والإبادة .

3) **المدرسة الكهنوتية**: اهتمت هذه المدرسة بتحديد أصول وفروع بني إسرائيل وعددهم ووضعت قوانين تضمن لطبقة الكهنة التسلط، والهيمنة على التشريع للشعب، كما وضعت طقوسا دينية تضمن لهم المأكل والمسكن دون سعي، أو عناء. وهذه المدرسة مسؤولة عن تأليف سفر العدد، واللاويين، وجزء من التكوين والخروج (28)، وتظهر آثار المدرسة الكهنوتية في سفر حزقيال جلية، فلقد جاء في الإصحاح (30/44) "يأكلون التقدمة، وذبيحة الخطيئة وذبيحة الإثم، وكل محرم في إسرائيل يكون لهم وأوائل كل الباكورات جميعها، وكل رفيعة من كل رفائعكم تكون للكهنة ".

4) **المدرسة التشريعية**: هي المسؤولة عن كتابة الشريعة والأحكام، وتمتاز بخطابها القانوني الذي يقنن لبني إسرائيل الأحكام الشرعية(29). وهذه المدرسة هي التي كتبت سفر التثنية: أحد الأسفار الخمسة، كما نجد أسلوب هذه المدرسة في سفر حزقيال (الإصحاح 15/46) " تعمل عليه تقدمة صباحا، صباحا سدس الإيفة وزيتا ثلث الهين لرش الدقيق تقدمة للرب فريضة أبدية دائمة ".

واللافت للانتباه وجود آثار جميع المدارس التي شاركت في تأليف الكتاب المقدس في سفر حزقيال وكأن هذا السفر ملخص للكتاب المقدس. أو أن الكتاب المقدس شروح موسعة لهذا السفر وهو الأقرب للصواب؛ لأن سفر حزقيال ألف أثناء فترة المنفى البابلي قبل تجميع الكتاب المقدس. وبعد حزقيال تأتي مرحلة نضج المدارس الفكرية التي نشأت من قبل. وقطفت ثمارها على يد عزرا ونحميا بعد العودة من المنفى وهذا يجعل سفر حزقيال أحد الأعمال السرية لليهود، ولقد نشر هذا السفر ضمن الكتاب المقدس لإبعاد الأنظار عن الأعمال الخفية، وفي الوقت نفسه لم يعد إخفاء السفر مفيدا بعد أن أدى دوره، حيث لا يشكل على جمعياتهم السرية أي خطر، وقد استحكمت هذه الجمعيات في رقاب اليهود، وتم إبعاد الأنبياء وأتباعهم على يد الأنظمة الوثنية المحيطة بهم، فأراد اليهود أن يؤسسوا قومية يهودية لها نظام سياسي واجتماعي متميز على نسق ما هو موجود عند الشعوب المتاخمة لهم،

وبالتالي فقدت تعاليم الوحي أثرها على أنفسهم، وصار الأنبياء مجرد شخصيات إصلاحية ظهرت في مراحل تاريخية نتيجة لظروف مر بها المجتمع اليهودي، وهكذا أعطت الجمعيات السرية لنفسها شرعية الوصاية والإشراف على توجيه الشعب الإسرائيلي، وتقرير مصيره بين الشعوب، وظهرت فرق فكرية في الديانة اليهودية الجديدة كفرقة الفريسيين والصادوقيين وما هي إلا واجهات لتلك الجمعيات التي تعمل في الخفاء، وكان بينها تنافس وصراع على السيطرة، ثم انتقل هذا المفهوم من قيادة بني إسرائيل إلى وجوب قيادة جميع شعوب العالم؛ انطلاقا من عقيدة شعب الله المختار الذي يملك الوحي المنزل على موسى خاتم المرسلين. وبمرور الزمن اكتمل تجميع وتأليف كتاب آخر أكثر سرية، يحمل آراء الحاخامات الفقهية، والتفاسير، والشروح التي أضافوها، وهذا الكتاب عند اليهود المعاصرين أقدس من التوراة، يسمى "التلمود" وهو بمثابة تفسير باطني للتوراة، ولقد ورد في سفر "اسدراس الثاني" الذي لم يعترف به ظاهريا، أن عزرا أملى 94 سفرا، اظهر للشعب 24 منها وأخفى 70 لا يطلع عليها إلا الحكماء(30). فلعل هذه الأسفار السرية كانت هي النواة في تكوين التلمود في الأجيال اللاحقة. كما أنه تم اكتشاف لفائف في وادي قمران جاءت تؤكد وجود أسفار العهد القديم.القانونية باستثناء سفر استير(31).وهذا دليل على أنه أضيف بعد ذلك، وهذا يبين أن للدين اليهودي وجهان علني، وآخر خفي حرص اليهود على عدم إظهاره. وما دام هناك جزء من الدين اليهودي غير معروف لدينا، فدراسة اليهودية لا تكون شاملة، لأنها لا تتناول سوى الكتاب المقدس أو ما أشاعه اليهود، ويبقى العديد من الحقائق تحت طي السر والكتمان.

ولقد استطاع حكماء اليهود أن يجعلوا الشعب اليهودي متعلقا بالتلمود وتعاليمه أكثر من الكتاب المقدس، وأن يتبعوا أوامر الحاخامات أكثر من الخضوع لأوامر الأنبياء؛ جاء في التلمود "اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء"(32)، وبلغ بهم التعصب إلى أن قالوا "من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت وأنه لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود وتمسك بالتوراة فقط لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما

جاء في شريعة موسى. إن مخافة الحاخامات هي من مخافة الله.وأن من يقرأ التوراة دون التلمود ليس لــه إلــه" (33) ويقــررون أن أقوال الحكماء لا تنسخ ولو بقول الله. بل أقوالهم تنسخ أقوال اللـه، ويستدلون على ذلك بقصة وردت في التلمود تقول:"وقع خلاف بين اللـه وعلماء اليهود في أمر مـن الأمور وبعد أن طال الجدل أحيل الخلاف إلى أحد الحاخامات الذي حكم بخطأ اللـه مما اضطره إلى الاعـتراف بخطئـه"(34)، هــذه نصوص من التلمود الذي طبـع سنة (1520م) فـي البندقيـة(35). فألب هذا التصريح والإعلان بطبع التلمود النصارى ضد اليهود، مما أدى إلى حرق جميع النسخ، ولم ينج إلا ثلاث نسخ، وقتل الكثير من يهود أوروبا فكان ذلك سببا للعودة إلى السرية .

الملخص: بعد فحص ودراسة الكتاب المقدس من قبل العلماء بـاختلاف جنسياتهم، وأديـانهم وعصورهـم، كـانت محصلـة نتائجهم بشكل عام كالآتي:

1- إن كاتب التوراة ليس واحدا، وأنها منقولة مـن عدة روايات مختلفة في مضمونها، وصياغتها وحتى في لغاتها التي كتبت بها أو رويت بها.(36)

2- ألفت التوراة خلال زمـن طويل، أكبر جزء منها كتب في الفترة ما بين القرن الخامس قبل الميـلاد إلـى الاحتـلال الروماني.(37)

3- لا يوجد سند للتـوراة، ولا تعرف اللغة الأصلية للنص.(38)

4- أقـر علمـاء اليهـود أنفسـهم بتحريف التوراة، لقد بين سبينوزا في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة الخلط الذي وقع فيه كتاب التوراة بين الحقيقة والخيال، وقال السموأل:"إن هذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب اللـه ولا يعتقد أحد من علماء اليهـود البتـة أن هـذه التوراة التي بأيديهم هي المنزلة على موسى".(39)

5- أمـا العلمـاء المسلمون فقد درسـوا التـوراة دراسـة وافيـة ومحصوها تمحيصا دقيقا وطبقوا عليها منهج النقد العلمي في السند والمتن، فالسند ثبت عدمه، والمتن ثبـت تعدده ومخالفتـه للمعقـول والواقع "وذلك أن بأيدي السامرة توراة غير التـوراة التـي بـأيدي اليهود، ويزعمـون أنهـا منزلـة، ويقطعون أن التي بـأيدي اليهـود محرفـة مبدلـة، وسـائر اليهـود يقولـون أن التـي بـأيدي السـامرة محرفة مبدلة "(40) وقد أورد ابن

حزم أدلة تجزم أن التوراة محرفة وأكبر دليل على ذلك وارد في الكتاب المقدس في سفر الملوك الثاني (الإصحاح 23)، حيث يصرح النص أن التوراة فقدت ردحا من الزمن، ثم اكتشفت فجأة على يد الكاهن حلقيا أثناء ترميم المعبد في كوة بالجدار(41). بالرغم من تحريف التوراة فإنها تعد المصدر الرئيسي لتاريخ اليهود ومعتقداتهم، ولذلك فكل دراسة للفكر اليهودي ترجع إلى الكتاب المقدس .

هناك تنبيه يجب الإشارة إليه وهو ما جاء في كتب التاريخ والسير أن اليهود قبيل بعثة الرسول ﷺ كانوا يتوعدون العرب بمبعث خاتم المرسلين ولما بعث الرسول محمد ﷺ من العرب نكروه فهذا دليل آخر على أن التحريف في كتاب اليهود استمر إلى القرن السادس الميلادي. والله أعلم .

الهوامش

(1) أحمد سوسة: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق 14 ، ومراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم 92

(2) سبتينو موسكاني: الحضارات السامية القديمة 140

(3) NIHIL. OBSTAT. HISTOIRE7 DE SAINTE. 8-12. ET EPSTEIN.I. LE JUDAISME

(4) محمد أبو الحسن عصفور: تاريخ الشرق الأدنى القديم 284.

(5) NIHIL. OBSTAT. HISTOIRE DE SAINTE 12

(6) لم يعرف مصطلح اليهودية إلا بعد غزو دولة يهوذا من قبل البابليين الذين نسبوهم إلى دولتهم المهزومة فأطلقوا عليهم السبايا اليهود. كما أن التوراة أقرت بنوة إسماعيل ومدين لإبراهيم، ولم يدخلوهم في القومية اليهودية NIHIL. OBSTAT. (10-12) et EPSTEIN.I. LE JUDAISME (7-12)

(7) علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام 8 و 10 ومرادكامل: الكتب التاريخية في العهد القديم10 .

(8) EPSTEIN.I. LE JUDAISME 21

(9) EPSTEIN.I. LE JUDAISME . 13

(10) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء 288 .

(11) سبتينوموسكاني: الحضارات السامية القديمة 142، 143 .

(12) أحمد سوسة: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق 24، 28 . وسهيل أديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد 76 وسبتينو موسكاني المرجع السابق 146.

(13) أحمد سوسة: المرجع السابق 134.

(14) أحمد سوسة: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق 142 .

(15) سهيل أديب: التوراة تاريخها وغاياتها 48، 49 .

(16) أحمد سوسة المرجع السابق 153،147 وعبد العليم عبد الرحمن خضر، مفاهيم جغرافية في القصص القرآني 235-256 و CHARLES.F.J. MILIEU BIBLIQUE. 1/157,158 .

(17) زربابيل بن شلائل بن يهوياكين آخر ملوك يهوذا .

(18) TOUSAINT .C. LES ORIGINES DE LA RELIGION D'ISRAEIL 32,33.

(19) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد 79،78 وسهيل ديب: التوراة تاريخها وغايتها 86،85 ومراد كامل: الكتب التاريخية في العصر القديم 52 .

(20) فرانكفورت وآخرون: ما قبل الفلسفة 271،267 وفؤاد حسين علي: التوراة الهيروغليفية 17،15 . (21) فرانكفورت وآخرون المرجع السابق .

(22) CHARLES .F.J. MILIEU BIBLIQUE 1/112 .

(23) سهيل ديب: التوراة ببين الوثنية والتوحيد 13.

(24) أحمد شلبي: اليهودية 177،176.

(25). ENCYCLOPEDIE . BORDAS PROBLEME DE CRITIQUE DE L'HISTOIRE. pp: 222, 1

(26) المرجع السابق . (27) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد 14 .

(28) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد 15،14 . (29) المصدر السابق .

(30) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد (105-106). (31) المرجع السابق 86 .

(32) صابر عبد الرحمن طعيمة: الماسونية والصهيونية غاية وهدفا 170.

(33) شوقي عبد الناصر: بروتوكولات حكماء صهيون، وتعاليم التلمود 31 .

(34) صابر عبد الرحمن طعيمة: المرجع السابق 171، وشوقي عبد الناصر، المرجع السابق 32 .

(35) صابر عبد الرحمن طعيمة: المرجع السابق 171، وسهيل ديب التوراة تاريخها وغايتها 83 .

(36) ENCYCLOPEDIE . BORDAS PROBLEME DE CRITIQUE DE L'HISTOIRE.pp 222,1 . وسبينوزا، رسالة في اللاهوت - ترجمة حسن حنفي 68،28 وصلاح العجماوي: جواهر الإيمان في صحيح الأديان 81/1 .

(37) علي عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود 15-16 ، وسبينوزا المرجع السابق69.

(38) رحمة الله الهندي: اظهار الحق 102/1-103 .

(39) محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات 116 .

(40) ابن حزم: الفصل في الملل وأهل الاهواء والنحل 202/1 .

(41) انظر رحمة الله الهندي المرجع السابق (488/1-495) وسفر الملوك الثاني (25/23) .

المراجع

(1) القرآن الكريم.
(2) الكتاب المقدس.

(3) ابن حزم الظاهري: الفصل في الملل وأهل الاهواء والنحل طبعة 1982 دار عكاظ جدة .
(4) أحمد سوسة:ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق الطبعة الأولى 1978 مطبعة أسعد بغداد .
(5) أحمد شلبي: اليهودية الطبعة الثامنة 1986 مكتبة النهضة المصرية .
(6) رحمة الله الهندي: إظهار الحق .
(7) محمد أبو الحسن عصفور: تاريخ الشرق الأدنى القديم الطبعة الثانية 1981 دار النهضة العربية بيروت .
(8) محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات الطبعة الأولى 1986
دار الهداية مصر .
(9) مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم طبعة 1968 معهد البحوث والدراسات .
(10) صابر عبد الرحمن طعيمة: الماسونية والصهيونية غاية وهدفا طبعة 1978 دار الفكر .
(11) صلاح العجماوي: جواهر الإيمان في صحيح الأديان الطبعة الأولى 1988 دار صفا .
(12) عبد العليم عبد الرحمن خضر: مفاهيم جغرافية في القصص القرآني الطبعة الأولى 1981 دار السعوديةجدة
(13) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء دار البعث الجزائر .
(14) علي عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود طبعة 1970 دار الهنا .
(15) فرانكفورت هـ وآخرون:ما قبل الفلسفة ترجمة إبراهيم جبرا دار مكتبة الحياة بغداد.
(16) فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية دار الكتاب العربي .
(17) سبتينو موسكاني: الحضارات السامية القديمة ترجمة يعقوب بكر طبعة 1986 دارالترقي بيروت .
(18) سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ترجمة حسن حنفي الطبعة الثانية 1981 دار الطليعة بيروت .
(19) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد الطبعة الثانية 1985 دار النفائس بيروت .
(20) سهيل ديب: التوراة غايتها وتاريخها الطبعة السادسة 1986 دار النفائس بيروت .
(21) شوقي عبد الناصر: بروتوكولات حكماء صهيون تعاليم التلمود الطبعة الثانية .
(22) CHARLES .F.J. MILIEU BIBLIQUE AVANT JESSUS CHRIST TOM:1LIBRAIRI ORIONTALISTE . PARIS 1922 .
(23) ENCYCLOPEDIE . BORDAS . ROGER CARITINI. ED: 1979 . ITALY .
(24) EPSTEIN .I. LE JUDAISME . TRADUIT PAR : L. JOSPIN. PARRAIT. ED: 1959 PAYOT. PARIS
(25) NIHIL. OBSTAT. JOSEPHE HUBY.S.J. HISTOIRE SAINTE. ED: 1942 ARTHEME. FAYARD. PARIS
(26) TOUSSAINT.C. LES ORIGINES DE LA RELIGION D'ISRAEL. ED: 1931 PARIS.

